



أخلاق المؤمنين ليست أخلاقاً لوقت اليسر فقط، لكن الأخلاق أكثر ما تظهر في أوقات الشدة والعسر، وأوقات الأزمة.

البعض تجده حسن الخلق، عفيف اللسان، حبي السلوك، مadam هادئاً، ومادامت الظروف حوله ظروف راحة واسعة، فاما إن انقلبت الظروف، فحدثت له مواقف غضب، أو شدة أو تعسير أمر أو مثاله، إذا بك تجد شخصاً آخر غير الذي عرفته بحسن خلقه!

إذا بك تجد غضوباً شرساً، شتاماً، سباباً، مخيناً، متعدياً، غليظاً، فاحشاً!

هذا نجده في واقعنا كثيراً، ونعايشه كثيراً، حتى إنك ليصيبك الاستغراب والاندهاش من مدى تغيير تلك الشخصية!

ألهذه الدرجة لم تصل الأخلاق الإسلامية إلى القلوب والآنفوس، ولم تستطع أن تغير حقيقة الصفات؟!

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء)) الترمذى

والفاحش أي الشاتم وفاعل الفحش (ابن بطال)، والبذاء أي الفحش في القول، وهو بذيء اللسان (النهاية).

فكيف ينقلب المرء إلى هكذا وصف سيئ مستنكر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في لحظة، لمجرد موقف، أو كلمة أو خلاف؟!

كنا نظن أن السفهاء هم قليلو العلم سيئو الخلق، من يتصفون بتلك الخطايا، لكننا فوجئنا بكثير ممن نظنهم من المتعلمين ذلك!

قال القرطبي: (والبذيء اللسان يسمى سفيهاً؛ لأنَّه لا تكاد تتفق البداءة إلَّا في جهال الناس، وأصحاب العقول الخفيفة)

البعض يتحجج لفحشه وبذاته بأنه استغضب، وبأن الموقف يحتاج إلى ذلك، وبأن الآخرين قد بدؤوا بالخطأ، وبأن التعامل الهدائى في تلك المواقف مضره وسلبية!

ولا شك أن ظنه ظن خاطئ قد يورد الناس موارد السوء، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنْ أَرْمَقْتُكُمْ شَمْكَ، أَوْ عَيْرَكْ بَشِيءَ يَعْلَمُه

فيك، فلا تعيّره بشيء تعلمته فيه، ودعه يكون وباله عليه وأجره لك فلا تسبن شيئاً" البخاري في الأدب المفرد-وصححه في صحيح الجامع.

يقول القاري: "والفحش، والبذاء، مذموم كله، وليس من أخلاق المؤمنين. وقد روى مالك عن يحيى بن سعيد أن عيسى بن مرريم لقي خنزيراً في طريق فقال له: إنفذ بسلام. فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى ابن مرريم: إني أخاف أن أعود لسانى المنطق السوء. فينبغي لمن ألهمه الله رشده، أن يجنبه ويعد لسانه طيب القول، ويقتدي في ذلك بالأنبياء عليهم السلام، فهم الأسوة الحسنة" (مرقاة المفاتيح)

هناك آخرون يستعملون فظ الكلمات، ومستهجنها، ومستقبحها، وحاجتهم أنها مستعملة عند العرب!

يقول الماوردي: "ومما يجري مجرى فحش القول وهجّره في وجوب اجتنابه، ولزوم تنبّه، ما كان شنيع البديهة، مستنكر الظاهر، وإن كان عقب التأمل سليماً، وبعد الكشف والرواية مستقima"

قال النووي: "قال العلماء: فينبغي أن يستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يستحبّى من ذكرها بتصريح اسمها، الكنایات المفهمة، فيكّنى عن جماع المرأة؛ بالإفضاء، والدخول، والمعاشرة، والواقع، ونحوها... وكذلك يكّنى عن البول والتغوط، بقضاء الحاجة، والذهاب إلى الخلاء، ولا يصرح بالخراءة والبول ونحوهما، وكذلك ذكر العيوب؛ كالبرص، والبخر، والصنان، وغيرها، يعبر عنها عبارات جميلة يفهم منها الغرض، ويلحق بما ذكرناه من الأمثلة ما سواه. واعلم أنَّ هذا كله إذا لم تدع حاجة إلى التصريح بتصريح اسمه، فإن دعت حاجة لغرض البيان والتعليم، وخيف أن المخاطب لا يفهم المجاز، أو يفهم غير المراد، صرّح حينئذ باسمه الصريح ليحصل الإفهام الحقيقي، وعلى هذا يحمل ما جاء في الأحاديث من التصريح بمثل هذا، فإنَّ ذلك محمول على الحاجة كما ذكرنا، فإن تحصيل الإفهام في هذا أولى من مراعاة مجرد الأدب" الأذكار.

إن أحوج من يكون لهذه الأخلاق هم الدعاة إلى الله، فلا ينبغي أن تتحول أخلاقهم في المواقف تحولاً سلبياً أبداً، بل يجب أن تظهر محاسن أخلاقهم في المواقف مهما اشتلت، ومهما كان الخصم سيئاً.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" الصحيح، إنها إذن أخلاق أهل الإيمان، المحددة، إما أن تقول خيراً أو لتصمت، والخير بابه واسع جداً، كما أن الصمت مفيد غاية الإفادة عند انعدام الخير والصواب.

إن الحياة هو سيد الأخلاق عند أهل الإيمان، وخلق الإسلام هو الحياة، ولئن اتصف المرء به فسيملك عليه نفسه وسيغير مساوئ خلقه، فيجب أن نراعي ذلك مراعاة تامة في مناهج التربية وممارستها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما كان الحياة في شيءٍ قط إلا زانه، ولا كان الفحش في شيءٍ قط إلا شانه" الترمذى

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الألمُ حُلُقُ المؤمن، الفحش"، إنها ألم أخلاقه لأنها تجعله غير مأمون العاقبة، وغير مأمون الجانب والسلوك.

وقال الأحنف بن قيس: "أولاً أخبركم بأدوات الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء"، إن هذا في نظر الحكيم الأحنف هو الداء الذي ينبغي الاهتمام به لعلاجه.

وقال الفاسمي: "كلام الإنسان، بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل، وإياك وما يستقبح من الكلام؛ فإنه ينفر عنك الكرام، ويُوَتَّبُ عليك اللئام"

المسلم

المصادر: